

خزانة الأدب وغاية الأرب

فالحوض هنا أجنبي من المناسبة لأنه ما يلائم المحصب والصفاء وزمزم وإنما يناسب الصراط والميزان وما هو منوط بيوم القيامة .
ومثله في عدم المناسبة قول الكميت .
(وقد رأينا بها حوراء منعمة ... بيضا تكامل فيها الدل والشنب) .
فإنهم قالوا الدلال لا يناسب الشنب وهو صحيح فإن الشنب من لوازم الثغر فلو ذكر معه اللعس وما ناسب ذلك مشى على سنن المناسبة وخلص من النقد .
ويعجبني من ملاءمة التناسب في مراعاة النظير قول العلامة أبي بكر بن اللبانه في موشح .
(بعض يخاصمني في بعض ... جسمي مقيم وقلبي يمضي) .
(وكيف أسلو وبدري الأرضي ... يدير في الأفحوان الغض) .
(وردية سرقت أنفاسه بالالتماس ... رقت فكانت مثل دمعة في جفن كاس) .
أنظر إلى ما ناسب بين الأفحوان والورد وجذب القلوب وأنشا الأذواق في المناسبة بين الدمعة وجفن الكاس مع الاستعارة التي تستعار منها المحاسن .
ومن أحلى ما يستحلى في الذوق من هذا النوع قول ابن مطروح .
(لبسنا ثياب العناق ... مزررة بالقبل) .
ومن شدة إعجابي بهذا البيت ضمنته تضمينا لو سمعه ابن مطروح لاطرح نفسه خاضعا وسلم إلي مفاتيح بيته طائعا وهو .
(ولما خلعنا العذار ... فككنا طويق الخجل) .
(لبسنا ثياب العناق ... مزررة بالقبل) .
ولولا خوف الإطالة لتكلمت على بيت ابن مطروح وعلى التضمين وما فيهما من حسن التناسب والاستعارات بما يليق بمقامهما .
وغاية الغايات قول القاضي الفاضل في هذا الباب .
(في خده فح لعطفة صدغه ... والخال حبه وقلبي الطائر)